فالاستعمال أو ما أطلق عليه العرب قديما « السماع » هو الفيصل فى الصواب والخطأ .

يقول فندريس : كأن هناك عقدا ضمنيا أقامته الطبيعة بين أفراد الجماعة الواحدة ليحافظوا على اللغة فى الصورة التى توجهها القاعدة ، وكثيراً ما ترجع هذه القاعدة إلى الاستعمال ، ولكن الاستعمال غير التحكم ، بل هو ضده على خط مستقيم ، لأن الاستعمال خاضع لمصلحة الجماعة ، وهى هنا حاجتها إلى أن تكون مفهومة (١) .

فما أطلق عليه العرب قديما لفظة « السماع » وأسماه « فندريس » قواعد الاستعمال التى ترجع لمصلحة الجماعة وهى حاجتها إلى أن تكون مفهومة هو نفسه « العرف اللغوى » الذى يرجع إليه الحكم بقبول اللغة أو رفضها .

ويبقى بعد ذلك احتراز مهم لابد من الإشارة إليه فى هذا المقام هو أننا لا ندعو بذلك إلى إلغاء القواعد والانصراف عن جهات الاختصاص اللغوى ، بل الذى ندعو إليه أن تكون القواعـــد والمعايير متفقة مع استعمال اللغة وتطورها ، وألا تتسم بالتحكم والجمود ، فتفرض قواعد مرحلة على مرحلة أخرى ، وأن يؤخذ فى اعتبار جهات الاختصاص طبيعة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تخضع للعرف الاجتماعى العام ، وللعرف اللغوى الخاص ، وحينئذ ينبغى أن يتوافق مايقترحونه من آراء أو ألفاظ أو صيغ أو قواعد مع هذا الفهم .

٣ ـ الاقتصار فى اللغة على زمن خاص وبيئة خاصة

يراعى الناطق باللغة فى نطقه عرف البيئة التى ينتسب إليها ، فبيئة الفصحى

(١) « فندريس » اللغة ص ٣٠٤ .